التصرف في الترجمة خيار إيديولوجي أم و اقع مفروض

Adaptation in Translation : Ideological Option or an Imposed Reality

د. ليلى فاسي1، *

[1] معهد الترجمة، جامعة الجزائر 2 ، (الجزائر)، leilafaci@univ-alger2.dz

تاريخ الإيداع: 2023/01/01 **تاريخ المراجعة:**2023/02/01 **تاريخ النشر:** 2023/03/31

ملخص:

الترجمة عملية معقدة متعددة الأبعاد والأطراف مما يجعل أهدافها مختلفة، واستراتيجياتها متباينة، ونتائجها متعددة. تهدف هذه الورقة البحثية إلى النظر في الترجمة كعملية تفوق حدود المترجم والنص لتبحث عن ماهيتها في محيطها الأوسع وهو المجتمع وكل ما يسهم في تشكيل إيديولوجيته، وكيف يصبح هذا الأخير قوة فاعلة تتحكم في عملية الترجمة واستراتيجياتها، وتوجه قرارات المترجم حسب أولويات معينة ترتبط بالدافع الرئيسي للعمل الترجمي عموما، وعوامل انتقاء ما يترجمه المترجمون على وجه التحديد. كما تتطرق الدراسة كذلك إلى مسألة الإيديولوجية في الترجمة، والسلطة التي تمارسها على المترجم، بالإضافة إلى التصرف الإيديولوجي كاستراتيجية يلجأ إليها المترجم إما راغبا أم مضطر مجبرا.

الكلمات المفتاحية: إيديولوجية ؛ استراتيجية ؛ تصرف؛ مجتمع ؛ مترجم ؛ سلطة.

Abstract:

Translation is a complex and multi-dimensional process, which leads to various goals, techniques, and outcomes. This paper aims at examining translation as a process that extends beyond the translator and the text to look for its identity in a broader environment which is society, considering everything that contributes to the construction of its ideology, as well as how it becomes a major force controlling the translation process and its strategies. It guides the translator's choices in accordance with a set of priorities related to the primary goal of translation work in general and, particularly, the criteria used in selecting the subject matter for translation. The study also addresses the topic of ideology in translation and the power it wields over the translator, In addition to discussing the translator's use of ideology as a strategy, either involuntarily or involuntarily.

***Keywords**: ideology; strategy; adaptation; society; translator; authority.*

*المؤلف المراسل.

مقدمة

تعتبر الترجمة، كنشاط إنساني مارسه البشر منذ غابر الأزمان، ضرورة طبيعية و نتيجة حتمية لآية من آيات الله في خلقة ألا وهي اختلاف الألسن، ضمانا وتيسيرا للتواصل وسعيا للتفاهم والتوافق. ولما لم يقتصر الاختلاف في البشر على ألسنتهم فقط، وجدناه في كل مناحي الحياة؛ في الفكر والدين والسياسة والاقتصاد، مما عمق التباين بين البشر وجعل التقريب بين الرؤى أمرا عسيرا في بعض المواطن، خاصة أن الاختلاف لم يكن دائما باعثا على الرغبة في اكتشاف الآخر ومحاولة فهمه قصد التقارب والتفاهم ومن ثمة التعايش. والترجمة ببعدها الأخلاقي وبغايتها في أن تكون مقاما للبعيد حسب أنطوان برمان لم تكن دوما كذلك ولم تمارس دوما وفق بعدها الأخلاقي المكرس للاختلاف. لذلك طالما قرأنا عن مسألة الخيانة في الترجمة وبقيت الدراسات والأبحاث لفترات طويلة من الزمن تدور في حلقة الخيانة والأمانة في الترجمة. ولما كان الإنسان بغريزته محبا للتوسع ميالا للتسلط وبسط النفوذ، شهد العالم بأسره حركات استعمارية في مختلف الفترات التاريخية تلتها حركات تحررية منادية بالاستقلال والاعتراف بحق الآخر في تقرير مصيره فكان للشعوب ما أرادت. لكن موازين القوى تحددت بقوى مهيمنة وأخرى مهيمن عليها. وفي هذا السياق، لم تكن الترجمة بمعزل عن هذه الدينامية التاريخية وهذه الظروف التي عاشها الإنسان؛ فقد كرست هي الأخرى حسب أنطوان برمان نظرية القيم الأيديولوجية والأدبية التي تهدف إلى صرف الترجمة عن هدفها الحقيقي من خلال نفي ممنهج لغرابة العمل الأجنبي بحجّة التبليغ[1]. لقد انتقد أنطوان برمان وغيره ممن تبنوا نفس المنهج كل اجتهاد في الترجمة إن نظريا أو تطبيقيا ينزع إلى المساس بالنص الأصل وثقافة الأصل أو التصرف فيهما، واعتبروا ذلك تمركزا عرقيا ونرجسية حضارية تهدف إلى طمس الآخر لصالح الثقافة الأقوى وتكريسا لإيديولوجية الأقوى. ورفضوا حجة الضرورة التواصلية التي تبيح التصرف في الأصل بشكل من الأشكال، واعتبروه خيانة له وإخفاء لخصوصياته. ومن هذا المنطلق تحددت إشكالية هذا المقال كالآتي: **هل الأيديولوجية في الترجمة أمر حتمي أم خيار شخصي؟** قد تكون حتمية في بعض المواطن حينما يكون مردها رغبة في إخفاء بعض خصوصيات النص على اختلافها لصالح ثقافة على حساب الأخرى، كما قد تكون مجرد ضرورة تفرضها ظروف سوسيوثقافية ترجمية جعلت من المترجم يتخذ قرارا بالتصرف دون رغبة مسبقة منه في الاعتداء على خصوصية النص أو إخفائها بأي شكل من الأشكال. وللإجابة عن هذه الإشكالية وإثبات فرضياتها أو نفيها نتطرق إلى إيديولوجية الترجمة و ترجمة الإيديولوجية لنبين بعدها كيف يتم فرض الإيديولوجية بطريقة ممنهجة من خلال استراتيجية التصرف في الترجمة.

أولا: إيديولوجية الترجمة وترجمة الإيديولوجية

كلما جرى الحديث عن الترجمة كممارسة ضاربة في القدم نجد الباحثين غالبا ما درسوها من خلال ثنائية الترجمة الحرة مقابل الترجمة الأمينة، والتعادل الصوري مقابل التعادل الدينامي، والترجمة التواصلية مقابل الترجمة الدلالية، والتوطين مقابل التغريب. وكلها مفاهيم واستراتيجيات وضعها المنظرون في دراستهم للترجمة وظروفها وأحوالها، وهذا دليل على وجود طريقين في الترجمة لا ثالث لهما؛ إما أن يتوجه المترجم إلى الفرد أي مؤلف النص الأصل وتتبلور بذلك سلطة النص، وإما أن يتوجه المترجم بترجمته إلى المجتمع وتتبلور بذلك سلطة المتلقي. وفي كلتا الحالتين، تتم الترجمة وفق أبجديات المنهج المختار مع الاعتراف بأنها ليست حيادية[2]. وحسب ما درسناه وتعلمناه عن الترجمة ومنهجيتها، قد يبدو الاختيار أمرا يسيرا مادامت الخيارات المتاحة كثيرة ومتنوعة، لكن السؤال المطروح: هل الأمر حقا كذلك؟ وهل يملك المترجم الخيار في كل الوضعيات

الترجمية؟ ترى باسنيت ولو فيفر (Bassnett & Lefevere)أن الترجمة هي إعادة كتابة الأصل بكل جمالياته ومقاصده وإيديولوجيته وفي هذا الصدد يقولان:

"…translation is of course, rewriting of an original text. All rewriting, whatever their intention, reflect a certain ideology and a poetics and as much manipulate literature to function in a given society in a given way, rewriting is manipulation undertaken in the service of power and in its positive aspect can help in the evolution of a literature and a society."[3]

ويظهر جليا من خلال هذا القول أن الإيديولوجية جزء لا يتجزأ من الكتابة كفعل مساهم في بناء المجتمعات وتوجيه فكرها، لأن التأليف في حد ذاته فعل يتم في إطار اجتماعي فكري جماعي يخضع لضوابط وقوانين تخدم سلطة المجتمع، وترجمة هذا الفكر هي نقل له بكل ما فيه، وأهم ما فيه إيديولوجيته. ومن هذا المنطلق، تطرح مسألة الإيديولوجية في الترجمة لأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نصف ترجمة بالإيديولوجية لأنها فقط تنقل نزعة إيديولوجية موجودة في الأصل. وإذا كانت الأيديولوجية تحكم فعل الكتابة وتوجهه، وهي جزء من الكتابات الأدبية التي تعترف بها الأمم وتفتخر، وتسهم هذه الآداب في تشكيل فكر المجتمع وتوجيهه، لماذا إذن عندما يتعلق الأمر بالترجمة تعلو الأصوات وتنصب المحاكم ويوضع المترجم في قفص الاتهام، فتوجه له غالبا تهمة التصرف الإيديولوجي لصالح ثقافة ما على حساب الأخرى. وعموما، يميز الباحثون في الترجمة بين ما هو ترجمة للإيديولوجية التي تعتبر جزءا من النص وكامنة فيه وموجهة لمغزاه ومرماه، وإيديولوجية الترجمة التي تعتبر نتيجة لموقف يتبناه المترجم إما لصالح الثقافة الأصل أو الثقافة الهدف. وأكثر ما يوضح مفهوم الترجمة الإيديولوجية حسب (لورنس فينوتي) هو مبدأ التكافؤ الدينامي الذي سن قانون الإبدال بطريقة ممنهجة بحيث يتم إبدال حالات سوسيوثقافية في لغة المصدر بحالات سوسيوثقافية في لغة الهدف بطريقة تجعل القارئ يشعر بشفافية الترجمة وانسيابيتها لدرجة عدم انتباهه إلى أن هناك ترجمة أصلا. وفي هذا الصدد يقول فينوتي:

« A translation of dynamic equivalence aims at complete naturalness of expression and tries to relate the receptor to modes of behavior relevant within the context of his own culture, naturalness is domestication »[4].

ويضيف (نورمان شابيرو) Norman Shapiro :

« I see translation as the attempt to produce a text so transparent that it does not seem to be translated. A good translation is like a pane of glass. You only notice that's there when there are little imperfections-scratches, bubbles. Ideally,there shouldn't be any. It should never call attention to itself. »[5]

و اعتبرت هذه الطريقة في الترجمة الأمثل والأنسب والأصح لأنها توفر للقارئ جهد البحث والتفكير وحب الاطلاع على الآخر. وهي ترجمة تلزم المترجم بالاختفاء والخضوع لسطة المتلقي من جهة، وإيديولوجية المجتمع والمتحكم فيها من جهة أخرى، في حين أن الترجمة من المفترض أن تساهم في انفتاح الأيديولوجيات على بعضها من منطلق أنها- الترجمة- هي الوحيدة التي تواجه الثقافات ببعضها البعض. وفي هذا الصدد يقول أندريه لوفير:

« Translation can be potentially threatening precisely because they confront the receiving culture with another, different way of looking at life and society, a way that can be seen potentially subversive, and must therefore be kept out. »[6] (André Lefevre 2004 p14)

أي: أن الترجمة التي تجعل الثقافات في مواجهة مع بعضها البعض، تشكل تهديدا في الثقافة المستقبلة لأن القيم الجديدة غالبا ما تكون على عكس ما جبل عليه المتلقي في مجتمعه، وتعوّد عليه، وأسس نمط تفكير وطريقة وجود حسب تلك القيم. لذا فإن المواجهة ستربك المتلقي خاصة إن كان الاختلاف عميقا فيصبح الفكر الجديد المختلف في نظر الثقافة المستقبلة هداما وباعثا على عدم الاستقرار وبالتالي مما يؤدي إلى رفضه وعدم تقبله بسهوله. وفي هذا الصدد، يتدخل المترجم كمفاوض بين الثقافتين ووسيط بينهما يساهم في استقبال الثقافة الثانية للأولى بكل ما فيها، مما يؤدي إلى تشارك الثقافات قيما اجتماعية وفكرية مختلفة. لكن الأمور لم تتم دائما بهذه الطريقة المثالية، لأن المترجمين يعملون في سياقات وظروف اجتماعية وتاريخية تخضعهم لعلاقات القوى غير المتساوية، مما يجعل من الترجمة نشاطا مقيدا لا يخضع لسلطة فكر وثقافة الأصل فقط، بل يحكمه فكر وثقافة المصدر أيضا. .لذا فإن المترجم قد يتصرف أحيانا بالحذف أو الزيادة أو الشرح وفق خلفيته الثقافية وهو ما يتجلى في انتقاء الألفاظ وفق عوامل إيديولوجية وثقافية.

وعلاوة على ذلك فإن الترجمة والمترجم كمشروع مؤسساتي حسب لورنس فينوتي هي ليست عملية فردية يتحكم بها المترجم كونه القائم بها بل تخضع لسلطة الهيئات التي تمولها أو تنشرها[7] . والكتابة كما سبق وذكرناه أعلاه، يحكمها توجه فكري وثقافي يساهم في تشكيل وتوجيه وبناء المجتمعات وفق رؤى معينة، لا يمكن أن تكون حيادية بأي شكل من الأشكال لأنها كنشاط إنساني لابد أن تنخرط في سياسة مجتمعية تخضع لضوابط معينة، يكون فيها المترجم المفاوض الأول بين الثقافات، إذ لا يمكن أن يبقى خارج الدائرة الإيديولوجية ما دام أنه يمارس الترجمة في سياق ثقافي اجتماعي سياسي لا يمكن أن يتملص منه. وبناء عليه، سيضطلع المترجم بدور كبير في توجيه فكر القارئ كما هو مطلوب إلى المعنى المنشود. وبهذا لم تعد الترجمة مجرد إعادة كتابة يلتزم فيها المترجم بالوفاء للمادة النصية في الأصل بل بالأحرى عملا تتخلله من التقنيات التي جادت بها جهود المنظرين في الترجمة من حذف وزيادة وإبدال وتطويع وكل هذا تحت لواء إستراتيجية التصرف بحجة التبليغ وتقريب الثقافات بعضها إلى بعض فما هو إذن التصرف في الترجمة وما هي خلفيته؟

ثانيا: التصرف في الترجمة

إذا حاولنا من خلال ما اطلعنا عليه من دراسات في حقل الترجمة التعريف بالتصرف فإننا سنعرفه بكل بساطة أنه المنهج الذي اتبعه المنظرون من أنصار النص الهدف والثقافة المستهدفة. وإذا أمعنا النظر في هذين المصطلحين لتذكرنا الشطر الثاني من قول شلايير ماخر ،عالم اللاهوت الألماني، وهو التوجه إلى القارئ ما استطاع المترجم إلى ذلك سبيلا وترك الكاتب أو النص بسلام. وفحواه هو الأخذ بعين الاعتبار المتلقي وثقافة المتلقي أكثر من النص المصدر وثقافة النص المصدر. أي أن التصرف هو عملية تكييف المفاهيم أثناء الترجمة بما يخدم ثقافة المتلقي ويناسبها تفاديا للارتباك الذي قد يحدثه الاختلاف الثقافي والايديولوجي والعقائدي مما قد يعيق سيرورة العملية التواصلية وفي هذا الصدد يعرف لورنس ملانكري7 (كتابة الاسم بالأحرف اللاتينية) التصرف في الترجمة على أنه:

« L'adaptation est le processus, créateur et nécessaire, d'expression d'un sen général visant à rétablir, dans un acte de parole inter linguistique donnée, l'équilibre communicationnel qui aurait été rompu s'il y avait simplement eu traduction. Ou plus simplement : l'adaptation est le processus d'expression d'un sens visant à rétablir un équilibre communicationnel rompu par la traduction. »[8]

استنادا إلى هذا القول يظهر التصرف كإستراتيجية من استراتيجيات الترجمة وكعامل يحفظ التوازن والاستقرار لعملية التواصل. وإذا تعمقنا أكثر في هذا القول لعلمنا أن الترجمة حسبه من العوامل المؤدية إلى فشل العملية التواصلية بسبب تباين الخلفيات الثقافية؛ أي أن الترجمة في شكلها الأمين للحرف قد تربك القارئ وتشتت فكره وتقلل من قدرته على استيعاب الجديد المختلف، لذلك يأتي التصرف كإستراتيجية بكل ما تحمله من حلول لإعادة الاستقرار والتوازن للعملية التواصلية من خلال ترجمة تخدم المتلقي وتيسر له ما تعذر عليه استيعابه من المختلف ومن غريب الأفكار والثقافة. وبهذه الطريقة واستنادا إلى القول أعلاه، فإن التصرف في الترجمة لا يكون دوما بخلفية استعلائية ميالة للارتقاء بلغة وثقافة على حساب الأخرى ومنهجا باعثا على نفي غرابة النص الأصلي، بل يظهر التصرف على أنه خادم للتواصل وضامن لاستقراه.

و عن التصرف يضيف جون دوليل:

« L'adaptation est le procédé de traduction qui consiste à remplacer une réalité socioculturelle de la langue de départ par une réalité propre à la socioculturelle de la langue d'arrivée convenant au public cible du texte d'arrivée. »[9]

ويأتي هذا التعريف داعما لما ذكرناه أعلاه، أي أن الترجمة التي قد تعيق عملية التواصل وتفقدها توازنها، هي وحدها من تملك أن تصحح ذلك من خلال التصرف. ويكون ذلك، حسب جون دوليل، باستبدال وضعيات سوسيوثقافية في لغة المصدر بوضعيات أخرى سوسيوثقافية في لغة الهدف بحيث تكون مناسبة لتلك اللغة وثقافتها. وهذا دليل على أن الثقافة هي من تعيق باختلافها وخصوصيتها عملية التواصل في حال حدث الفعل الترجمي. وقد بلورت نظريات الترجمة على اختلافها هذه الاستراتيجية من خلال إخضاع الترجمة والمترجم لسلطة معينة، قد تتجسد في الأسلوب أو المتلقي وثقافته أو الهدف الاتصالي من النص إلى غيره من السلطات "العليا" التي تخضع المترجم وتحد من حرية اختياره، علما أنه خلال عملية الترجمة سيواجه مجموعة من العقبات التي قد لا تخطر بباله، ومع ذلك، فهو المسؤول الأول عن إيجاد حلول لها. وبما أن الترجمة عملية معقدة متعددة الأبعاد ومختلفة الأطراف كما سلف ذكره ، لا يمكن إذن للمترجم أن يتحكم فيها بمفرده رغم كونه العنصر الأساس في عملية الترجمة. غير أن تدخل العناصر الفاعلة التي تقدم مقترحات مسبقة هي من توجه العملية الترجمية وتخضعها لسلطة أخرى غير سلطة النص واللغة. وعليه، فإن المترجم لا يلجأ إلى استراتيجية معينة بعينها على سبيل الاختيار في كل الحالات، لأنه، وفق كريستيان نورد، يقوم بالترجمة بمعية المشاركين الإضافيين. وتقصد بذلك كل الجهات المتدخلة في مراحل الترجمة، والمتمثلة في: مرسل النص أي الشخص أو الأفراد أو الهيئة التي تستخدم النص بغية نقل رسالة معينة، ومنتج النص المسؤول الحقيقي عن اختيار العناصر اللغوية والأسلوبية للنص[10]

وما دام التصرف الإيديولوجي في الترجمة يكون في غالب الأمر فعلا مقصودا وومنهجا، فالترجمة في هذا الإطار لا تتوقف عند حدود التأويل فحسب، بل يتجلى في الفعل الترجمي صوتا ومعجما وتركيبا، ويتعدى الأمر إلى المستويين الخطابي والثقافي[11]. ويتضمن المستوى المعجمي تغييرا في عقيدة فكرية تختلف عما تعنيه لفظة أخرى بناء على خلفيات ثقافية أو معتقدات دينية، وهو ما يتجلي في ترجمة كلمة conquest فتحا تارة وغزوا تارة أخرى وفق السياق الذي ترد فيه، بالإضافة إلى ترجمة كلمة (Invaders) حسب السياق الواردة فيه بالغزاة والمعتدين تارة، والفاتحين تارة أخرى. أما التصرف الإيديولوجي على المستوى التركيبي فيتجلى في إضافة بعض أدوات التوكيد مثلا، كإضافة المترجم عبارة (والواقع أن) أو (وحقا) كخيار أسلوبي قد

يتحول إلى تصرف إيديولوجي حينما يحول الوصف إلى توكيد لفظي لم يرد في النص المصدر. أما التصرف الإيديولوجي على المستوى الثقافي فيتجسد مثلا في ترجمة العبارات والمفاهيم الدينية، مثل ترجمة عبارة The holly war بالجهاد بدلا من الحرب المقدسة، وعبارة: (I swear) بأقسم بالله العلي العظيم.

ثالثا: الإيديولوجية بين المصدر والهدف

بناء على ما سبق ذكره، تظهر الإيديولوجية في الترجمة كممارسة مُشوِّهة للأصل في حال لم تكن إيديولوجية الهدف تتوافق وإيديولوجية المصدر في أي مستوى من مستويات النص رغم أننا وضحنا أن فعل الكتابة في حد ذاته لا يمكن أن يكون إلا مشبعا بإيديولوجية ما تسعى لتوجيه المجتمع إلى وجهة محددة. كما تعرفنا كذلك فيما سبق على انتماء المترجم لمجتمعه وتشبعه بإيديولوجيته وأنه هو أي المترجم كفرد ينتمي إلى مؤسسة يمارس فيها ومن خلالها فعل الكتابة لن يكون إلا متأثرا بانتمائه ومتشبعا بإيديولوجيته. فكيف لنا إذن أن نحكم على الإيديولوجية إن كانت هي أصل الكتابة والتأليف ونَصفُ الترجمة الإيديولوجية أنها ترجمة مشوهة؟

قام جدعون توري(Gideon Toury) بدراسة كل ما تُرجم من الآداب الأجنبية كالروسية والفرنسية والألمانية والإدية و الإنجليزية إلى اللغة العبرية في إطار مشروع يسعى لإضفاء التنوع على الأدب العبري ويضمن هوية جماعية مشتركة لهذا الأدب من خلال الترجمة في ظل التعدد اللغوي ليهُود العالم، وليُعيد ترتيب الأدب المترجم بخلاف ما جاءت به المدرسة الشكلانية الروسية التي صنفت الأدب إلى راق وأدنى وجعلت الأدب المترجم في مكانة دنيا وذلك لاكتفائها بآدابها ولتمكُّن لغاتها من إنتاج كل أضرب الكتابة. أثبتت نتائج تلك الدراسة أن اختيار ما تم ترجمته خلال خمس عشرة سنة من نصوص على اختلاف أنماطها لم يكن خيارا شخصيا انعزاليا توقف على المترجم كونه القائم بالعملية الترجمية، وإنما تم في إطار مشروع تشاركي إيديولوجي بدليل أنواع النصوص التي تمت ترجمتها والتي كانت في معظمها نصوص ذات توجه اشتراكي تخضع لسلطة المجتمع والتاريخ آنذاك وتتماشى مع أهداف المشروع الاجتماعي الأدبي الهوياتي العبري.[12]

وقد ابتعد المترجمون خلال تلك السنوات، وفي إطار تعزيز الأدب العبري وضمان التنوع له، عن الأمانة في الترجمة وتوقفت قراراتهم كلها على الهدف المتوخى من ترجماتهم واعتمدوا بشكل كبير على shifting أي البدائل بما يتماشى وثقافة الهدف مما جعل الترجمات ذات هويات مختلفة عن الأصل تماما. علاوة على استعمال أسلوب مُحكَم في الترجمة مما أدى إلى ظهور نزعة الارتقاء بأسلوب النص الهدف أي اللغة العبرية على حساب لغة النص المصدر . كما أن الاعتبارات اللغوية والجمالية للنص المصدر لم تكن تؤخذ بعين الاعتبار لتفوق الاعتبارات الإيديولوجية. واعتبر جدعون توري أن الاهتمام بالنص المصدر هو من الخطأ لأن العوامل المتحكمة فيه لغوية كانت أم اجتماعية أم جمالية هي عوامل خارجية تخضع هي الأخرى لمتغيرات الزمن والتاريخ لذلك فهو لا يؤمن بوجود الكاتب المثالي والقارئ المثالي ولا الترجمة المثالية، كما يرفض النزعة التوجيهية التي اتسمت بها النظريات الأخرى والتي تفترض دائما وجود ترجمة صحيحة يجب على المترجم بلوغها باتباعه هذه التقنية أو تلك. وعليه فإن الحُكم على الترجمة بالصحة أو الخطأ هو في حد ذاته عمل إيديولوجي موجه بما أن الحكم يستند إلى توجه نظري معين يقوم على متغيرات لا يمكن التحكم فيها وهي الزمن والمجتمع والتي يخضع لها كل نشاط كتابة مهما كان نوعه.

علاوة على ذلك تصبح الإيديولوجية في الترجمة أمر حتمي إلى حد ما والحكم عليها أمر نسبي إلى حد بعيد ويتوقف على موقع الحكم بالنسبة إلى النص فالذي يستقبل ترجمة تتماشى وخلفيته ومشروعه الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي أو الديني لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يحكم على الترجمة بالإيديولوجية أما من يقرأ الترجمة وهو ليس جزء من ذلك المشروع فإنه حتما سيحكم على الترجمة بالإيديولوجية. كيف لهؤلاء المترجمين الذين درس توري ترجماتهم على امتداد خمس عشرة سنة والذين ساهموا بشكل فعال في تأسيس النسق العبري المتعدد أن يتقبلوا فكرة أن عملهم كله مشبع بالإيديولوجية، وهو فعلا كذلك، فمن وجهة نظرهم سيكون من المجحف أن نحكم على ترجماتهم أنها غير أمينة وأنتجت نصوص مترجمة بهويات مختلفة تماما عن هويات النصوص الأصلية، لن يكون هذا مقبولا لأنهم أصحاب الترجمة التي ستضمن للغة العبرية أدبا ونسقا متعددا يتماشى والمشروع الديني و الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الهادف لخلق الأمة عن طريق جمع شتاتها وتوحيد فكرها وتوجيهه إلى وجهة واحدة. وأكثر الأمثلة توضيحا لهذه الفكرة هي كتابة التاريخ وترجمته إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكتب القوى الاستعمارية تاريخها كما تكتبه الدول المستعمِرة لأن الدوافع وراء الاستعمار ليست نفسها الدوافع وراء الحركات التحررية، ومن يكتب التاريخ حتى يبرر لنفسه ما لا يبرره العقل ليس كمن يكتب للتاريخ ليكون شاهدا على فعال الإنسان ضد الإنسان. لهذا تبقى الترجمة هي السلاح ذو الحدين شاهدة على التاريخ وأمينة عليه من جهة، ومتواطئة وخائنة من جهة أخرى والحكم عليها بهذا أو ذاك يتوقف على موقع الحَكَم من الترجمة.

وبهذا يظهر جليا أن المترجم، رغم أنه المسؤول الوحيد عن مواجهة الصعوبة في الترجمة، يتشارك قراراته مع شركائه و أن الترجمة ليست حيادية رغم بعدها الأخلاقي المتمثل في الإفصاح عن الاختلاف من خلال مقابلة ومقارنة الصور والأفكار والعبارات التي تبعث فينا الدهشة، لأنها جديدة وغريبة عنا فترغبنا في التعرف عليها واكتشافها بغية الوعي بفلسفة الاختلاف الخاصة بكل ثقافة وكل لغة ورغم مهمتها في كشف المستور والمسكوت عنه في التاريخ إلا أن المؤسسة أقوى من المترجم لذا فهي تخضعه لأنه بكل بساطة جزء منها وولاؤه لها واجب ويتبلور من خلال ترجماته التي تخدم المؤسسة وكل مشاريعها الإيديولوجية. والإيديولوجية تفرضها كل الجهات التي تمول الترجمة أي أن منطق القوة والمال ها المتحكمان.

النتائج:

-الترجمة مشروع إيديولوجي يؤطره المجتمع ويرسم أبعاده وأهدافه.

-يخضع المترجم كشريك في المشروع إلى قوانين الشراكة وكل ماتفرضه بغية تحقيق النجاح والمردودية.

-التصرف فرض من فروض الشراكة يتبناه المترجم كاستراتيجية في الترجمة ليرسم حدودا جديدة ومناخا جديدا لثقافة جديدة بشروط البيئة المتلقية.

_ الإيديولوجية في الترجمة أمر نسبي يتوقف على الموقف الذي يشغله الحكم مقارنة بالمصدر أو الهدف.

– الترجمة نشاط كغيرها من الأنشطة التواصلية، رغم بعدها الأخلاقي إلا أنها تخدم الإطار الذي يحتويها وتخضع لمن يمولها.

خاتمة:

بناء على النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الورقة البحثية يظهر جليا أن الترجمة لم تكن يوما نشاطا فرديا انعزاليا وإنما هي مشروع يرعاه المجتمع ويوجهه وبالتالي تتشارك فيه أطراف متعددة يكون لكل طرف سلطة يمارسها على الترجمة. كما تظهر إيديولوجية الترجمة على أنها أمر مشروع تفرضه الهيئة المتحكمة في الترجمة والممولة لها بما أن الإيديولوجية هي من تحكم فعل الكتابة. وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الترجمة كفعل مؤطر تسير إلى بلورة مقاصد المجتمع وتوجهه الفكري وما يخدمه. لهذا تسترعي الترجمة بالغ الاهتمام في الدول المتقدمة وتمارس في إطار مؤسساتي تشاركي يخدم أهدافا مسطرة تتوافق وسياسات الدول وإيديولوجياتها وبهذا تشارك الترجمة كنشاط فكري وكممارسة متعددة الأبعاد في تقدم الدول ونشر فكرها مهما كانت إيديولوجيته.

هوامش وإحالات المقال

[1] أنطوان برمان، الترجمة والحرف أو مقام البعد، ترجمة عز الدين الخطابي، المنظمة العربية للترجمة، 2010

[2] Basil Hatim and Ian Mason ةTranslator As Communicator, Taylor and Francis e-Library, 2005, p 65

[3] Venuty Lawrance, The Translator's invisibility: A history of Translation, Routledge, 1995, P 8

[4] Venuty Lawrance, Translator' Invisibility A History of Translation, Routledge, 2004 p21.

[5] Ibid, P 14.

[6] Le Fèvre André, Translation History Culture Source Book, Taylor and Francis e-Library, 2003 p 14.

[7] Venuty Lawrance ,Translator' Invisibility A History of Translation, Routledge, 2004, p21.

[8] Malingret Lawrance, Les Enjeux de L'adaptation en Traduction, uv.es/dpujante/PDF/CAP3/B/L-Malingret.pdf

[9] Delisle Jean, La Traduction raisonnée ,Presse de l'Université d'Ottawa, 1993, p 48

[10] أورتادو ألبير أمبارو: الترجمة ونظرياتها مدخل إلى علم الترجمة ترجمة علي إبراهيم المنوفي- المركز القومي للترجمة،2007، ص 674.

[11] محمد فرغل، التصرف الإيديولوجي في الترجمة : مصطلحا وفهوما، مجلد نقد وتنوير، ع 3، شتاء 2015، ص 144.

12 إدوين غنسلر : في نظرية الترجمة اتجاهات معاصرة- ترجمة عبد العزيز مصلوح المنظمة العربية للترجمة 2007.

المراجع:

1- أورتادو ألبير أمبارو، : الترجمة ونظرياتها مدخل إلى علم الترجمة ترجمة علي إبراهيم المنوفي- المركز القومي للترجمة، 2007

2- أنطوان برمان، الترجمة والحرف أو مقام البعد ترجمة عز الدين الخطابي المنظمة العربية للترجمة، 2010

3- محمد فرغل، التصرف الإيديولوجي في الترجمة : مصطلحا وفهوما، مجلد نقد وتنوير، ع 3، شتاء 2015.

4-Baker Mona, In Other Words, Routledge, 2004

5-Basil Hatim & Ian Mason, Translator As Communicator, Taylor and Francis e-Library, 2005.

6-Delisle Jean, La Traduction raisonnée ,Presse de l'Université d'Ottawa, 1993

7-Le Fèvre André, Translation History Culture Source Book, Taylor and Francis e-Library, 2003

8-Malingret Lawrance , Les Enjeux de L'adaptation en Traduction, 2001, uv.es/dpujante/PDF/CAP3/B/L-Malingret.pdf

9-Venuty Lawrance, Translator' Invisibility A History of Translation, Routledge, 2004.

[12] أورتادو ألبير أمبارو: الترجمة ونظرياتها مدخل إلى علم الترجمة ترجمة علي إبراهيم المنوفي- المركز القومي للترجمة،2007، ص 674.